

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۚ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَدُسَّتِ الْجِبَالُ دُسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۖ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ﴾

وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ: قامت القيامة بنفخة البعث.

كَاذِبَةٌ: نفس كاذبة تنكر وقوعها.

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ: هي خافضة للأسقياء رافعة للسعداء .

رُجَّتِ الْأَرْضُ: زلزلت وحركت تحريكا بشدة.

وَدُسَّتِ الْجِبَالُ: فتت كالسويق الملتوت.

هَبَاءً مُنْبَثًّا: غباراً متفرقاً منشراً.

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا: أصنافاً.

إن الإنسان يرى في حياته الراهنة أنه حر ليفعل ما يشاء ، مما يجعله يستبعد الآخرة ولا يكاد يصغي إلى الحديث عما سيكون هناك من حسابٍ وجزاء ، غير أن بناء العالم الآخر ممكن الوقوع تماماً كواقعة بناء العالم الحالي .

وحين يأتي يوم القيامة ستنقلب الأوضاع وتتغير الموازين والقيم كلها ، وحيث تتبدل أقدار الناس فيعود أعلاهم أسفل وأسفلهم أعلى ، وسينقسم الناس يومئذٍ ، بحسب أعمالهم، إلى أصنافٍ ثلاثة : السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال .

﴿ فَأَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ ﴿١﴾ وَأَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٢﴾ وَالسَّيْفُورِ السَّيْفُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٤﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٥﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٧﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿٨﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ ﴿٩﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٠﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١١﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٢﴾ وَفِيكُنْهَ مِمَّا يَتَخَبَّروْنَ ﴿١٣﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٤﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿١٥﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿١٦﴾ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿١٨﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿١٩﴾ ﴾

فَأَصْحَابُ الْمِئْمَنَةِ: اليمن والبركة. أو ناحية اليمن.

ثَلَاثَةٌ: هو أمة من الناس كثيرة.

سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ: منسوجة من الذهب بإحكام.

وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ: مبقون على هيئة الولدان في البهاء.

بِأَكْوَابٍ: أقداح لها عرى وخراطيم.

وَأَبَارِيقَ: أوان لها عرى وخراطيم.

وَكَأْسٍ: خمر أو قدح فيه خمر.

مِّن مَّعِينٍ: خمر جارية من العيون.

لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا: لا يصيبهم صداع بشرها.

وَلَا يُنزِفُونَ: لا تذهب عقولهم بسببها.

وَحُورٌ عِينٌ: نساء بيض واسعات الأعين حسانها.

اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ: المصون في أصدافه مما يغيره.

لَعَفُوا: كلاما لا خير فيها أو باطلاً.

وَلَا تَأْنِيهِمْ: ولا نسبة إلى الإثم أو لا ما يوجهه.

السابقون هم : الذين يتقبلون الحق فور ظهوره أمامهم، وبالتالي يُسَخَّرُونَ أنفسهم وكل ما يملكون للحق دون تحفظ أو تردد . وقد روت السيدة عائشة عن النبي - ﷺ - أنه قال : " أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : "الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سُئِلُوهُ بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم " (١).

والذين يبادرون إلى قبول الإسلام في أولى مراحل الدعوة، يكون الإسلام بالنسبة إليهم نوعاً من الاكتشاف، بينما هو يكون بالنسبة إلى أجيالهم اللاحقة شيئاً وراثياً ، وهذا الفارق الجوهرى بين الاكتشاف والوراثة هو الذي يجعل الرعيل الأول أعلى مرتبةً ممن يأتي بعده ، ومع كون الطائفة الأولى أقل الطائفة الأخيرة أكثر عدداً بطبيعة الحال، إلا أن نعيم الأولى في الآخرة سيكون أعلى من الأخرى !!

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۖ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۖ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۖ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۖ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۖ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۖ إِنَّا أَنْشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُمْ أَبْكَارًا ۖ غُرَبَاءَ ۖ أَنْزَلْنَاهُمْ لَآصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ ﴾
 في سِدْرٍ: في شجر البنق يتنعمون به .

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٨٣ .

مَحْضُودٍ: مقطوع شوكة.

وَطَلَحَ: شجر الموز أو مثله.

مَنْضُودٍ: نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه.

وَزَلٌّ مَمْدُودٍ: دائم لا يتقلص أو ممتد منبسط.

وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ: مصبوب يجري في غير أخاديد.

مَرْفُوعَةٍ: على الأسرة أو منضدة مرتفعة.

عُرْبًا: متحبات إلى أزواجهن.

أَثَرَابًا: مستويات في السن.

أما أصحاب اليمين فالمراد بهم : عامة أهل الجنة ، وينخرط في سلوكهم كل أولئك الذين كانوا صالحين من حيث اعتقادهم وسلوكهم وعملهم ، وإنهم ، وإن لم يبلغوا المستوى الشعوري الأعلى من الإيمان، إلا أنهم كانوا مخلصين صادقين في الولاء لله ولرسوله ، وظلوا ثابتين على جادة العدل والتقوى طيلة حياتهم الدنيوية ، وسيحتوي هذا الصنف على عدد كبير من الأولين ، كما سيضم عدداً كبيراً من الآخرين كذلك .

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۖ فِي سُمُومٍ وَخَمِيمٍ ۝١٢ وَظِلٍّ مِّنْ تَحْتُمُومٍ ۝١٣ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝١٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۝١٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۝١٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٧ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝١٨ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝١٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝٢١ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ۝٢٢ فَمَا لُؤْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٢٣ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝٢٤ فَشَرِبُونَ شُرْبَ

أَهْلِيمِ ﴿٥٠﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾

سَمُومٌ: ريح شديدة الحرارة تدخل المسام.

وَحَمِيمٌ: ماء بالغ الحرارة.

يَحْمُومٌ: دخان شديد السواد أو نار.

وَلَا كَرِيمٌ: لا نافع من أذى الحر.

مُتْرَفِينَ: منعمين متبعين أهواء أنفسهم.

الْحِنْثُ: الذنب العظيم - الشرك.

رَقُومٌ: شجر كربه جداً في النار.

شُرِبَ الْهَيْمُ: الإبل العطاش التي لا تروى.

هَذَا نُزْلُهُمْ: ما أعد لهم من الجزاء.

يَوْمَ الدِّينِ: يوم الجزاء (يوم القيامة).

وأما أصحاب الشمال فهم: الذين يُحكم عليهم بالعذاب، لقد غرّتهم الأشياء

التي كانت قد أتاحت لهم في الدنيا على وجه الامتحان والابتلاء، وسيُعتبر أمثال

هؤلاء أهلاً لأقسى ألوان العذاب والنكال في يوم الدينونة الكبرى!!

﴿لَخُنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٤﴾ ءَأَنْتُمْ خَلَقُونَهُ أَمْ

نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٥﴾ لَخُنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا خُنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٥٦﴾ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ

أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ

﴿٥٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٥٩﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ لَخُنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٠﴾ لَوْ نَشَاءُ

لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٧﴾
 أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٩﴾
 لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿١١﴾ ءَأَنْتُمْ
 أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿١٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿١٣﴾
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٤﴾

أَفَرَأَيْتُمْ: أخبروني.

مَا تُمْنُونَ: المني الذي تقذفونه في الأرحام.

تَخْلُقُونَهُ: تصورونه بشراً سوياً.

بِمَسْبُوقِينَ: بمغلوبين عاجزين.

مَا تَحْرُثُونَ: البذر الذي تلقونه في الأرض.

تَزْرَعُونَهُ: تبتونه حتى يشتد ويبلغ الغاية.

حُطَمًا: هشيماً متكسراً لا ينتفع به.

تَفَكَّهُونَ: تتعجبون من سوء حاله ومصيره.

إِنَّا لَمُعْرِمُونَ: مهلكون بهلاك رزقنا.

مُحْرِمُونَ: ممنوعون الرزق بالكلية.

الْمُزْنِ: السحاب أو الأبيض منه.

جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا: ملحاً زعاقاً أو مرّاً لا يمكن شربه.

النَّارَ الَّتِي تُورُونَ: تقدحون الزناد لاستخراجها.

تَذَكِّرُ: تذكير لنار جهنم.

وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ: منفعة للمسافرين في القواء (الفقر) أو المحتاجين إليها.

إن تخلق الجنين البشري ونموه في رحم المرأة، وخروج النبات والزرع من باطن الأرض، ونزول المطر من السحاب، وحصول النار من الوقود، كل ذلك من عند الله مباشرة، فينبغي للإنسان، وهو يتنفع بهذه النعم الجليلة، أن يشكر الله، باعتبارها هبةً منه تعالى وفضلاً، وليس بتناج عمله وجهده الذاتي !

وفي هذه الوقائع عظات لا تُحصى لمن يقف عندها وقفة تأمل، فهي تتضمن دليل الحياة الثانية التي تلي حياتنا الراهنة، كما أن فيها آية على أن الذي أعطاها قادر على أن يسلبها كذلك، ويتضح لنا هذا الأمر في أجلى صوره عندما نتدبر، مثلاً، قضية الماء الذي نشربه، إن ذخائر المياه توجد على هذا الكوكب الأرضي بشكل البحار والمحيطات، ومعظمها مالح، فالبهار تحتوي على حوالي ٩٨ في المائة من الماء الموجود في الأرض، وتسعة أعشارها ملح، وإنه لمن معجزات الناموس الإلهي الذي يجعل ماء البحر إذا تبخر تحت حرارة الشمس يرتفع في الجو خالصاً تاركاً الملح تحته، والحقيقة أن عملية المطر هي عملية كونية هائلة لإزالة الملوحة. ولولا هذا التدبير الطبيعي لصار الماء بكافة أشكاله مالحاً كماء البحر؛ حتى لكأن الثلوج فوق الجبال والمياه الجارية في الأنهار هي الأخرى ملحة أجاجاً، وبالتالي تعذر على البشر الحصول على الماء العذب السائغ رغم تواجد كتلة مائية ضخمة من حولهم تغمر نحو ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية، والتفكير في هذا الواقع حقيق بأن يملأ صدر الإنسان بمشاعر الحمد والشكر والتمجيد لله رب العالمين !

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْعِدِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَفَبِهَذَا

الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿١٠﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ﴿١١﴾

فَلَا أَقْسِمُ: فَأَقْسِمُ و"لا" مزيدة للتأكيد.

بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ: بمغاريبها أو منازلها.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ: نفاع جم المنافع. أو رفيع القدر.

كِتَابٍ مَكْنُونٍ: مستور مصون عند الله في اللوح المحفوظ من سوء.

لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ: صفة أخرى للقرآن.

أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ: متهاونون أو مكذبون.

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ: شكركم على الإنعام به.

المواقع صيغة جمع مفرد لها موقع، وهو اسم مكان معناه موضع الوقوع أو السقوط، ومن ثم يقال للموضع الذي يسقط فيه المطر: مواقع القطر. وربما يكون المراد بمواقع النجوم هنا أفلاكها. حيث يوجد في الفضاء الكوني الهائل ما لا عداد له ولا حصر من الكواكب والنجوم الضخمة، وكلها تدور في أفلاكها بمنتهى الدقة.

وهذا الحدث عظيم إلى حدٍ مذهل، وإن من ينظر في هذا النظام الفضائي بجديّة سوف لا يجد بداً من الاعتراف بأن خالق هذا الكون عظيم إلى حدٍ لا يحيط به الوصف. إذن، فالكتاب الذي جاء من لدن خالق هذا شأنه، سيكون بدوره عظيماً بكل تأكيد.. وليس من شك في أن القرآن كتاب عظيم بأعمق معاني هذه الكلمة.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿١٢﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿١٣﴾ وَحُنَّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ

لَا تَبْصُرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿١٥﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾

بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ: بلغت الحلقوم عند الموت.

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ : بعلمنا وقدرتنا.

غَيْرَ مَدِينِينَ : غير مربوبين مقهورين.

إذا بلغت الروح عند الحلق وذلك حين الاحتضار ، وأنتم حينئذ تنظرون إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ، ونحن أقرب إليه منكم بملائكتنا ولكن لا ترونهم ، فلو لا إن كنتم غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس إلى مكانها الأول ومقرها في الجسد.

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ فَرَوْحٌ وَرَیْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ۝ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ فَسَلَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ۖ الضَّالِّينَ ۖ فَزُلٌّ مِنْ حَمِيمٍ ۖ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ۖ إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۖ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ ﴾

فَرَوْحٌ : فله استراحة أو رحمة .

رَیْحَانٌ : رزق حسن .

فَزُلٌّ : فله قرى وضيافة .

حَمِيمٍ : ماء تناهت حرارته .

وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ : مقاساة لحر النار أو إدخال فيها .

أحوال الناس ثلاثة عند احتضارهم ، أما أن يكون من المقربين ، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين ، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى .

فإن كان المحتضر من الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات ، فلهم الرحمة والرزق الحسن وتبشرهم الملائكة بذلك

عند الموت.

وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ، فتقول له الملائكة سلام لك أي لا بأس عليك أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين.

وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ، له ضيافة من حميم وهو سائل تبلغ درجة حرارته مبلغاً تصهر به ما في بطون هؤلاء وجلودهم .

وإن هذا الخبر هو حق اليقين الذي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه ، وإذا آمنت بذلك فسبح باسم ربك العظيم الذي هو تدبيره وهذه قدرته^(١).

(١) ابن كثير ، ٤ / ٣٠٠ (ط. دار الحديث ، القاهرة).